كارثة العبّارة «هيرالد»

200 راكب.. وجدوا أنفسهم

في لحظة بين الحياة والموت!!

- تذاكر مخفّضة للرحيل عن الدنيا!!
- رجال ورق يتعلقون بأذيال النساء!!

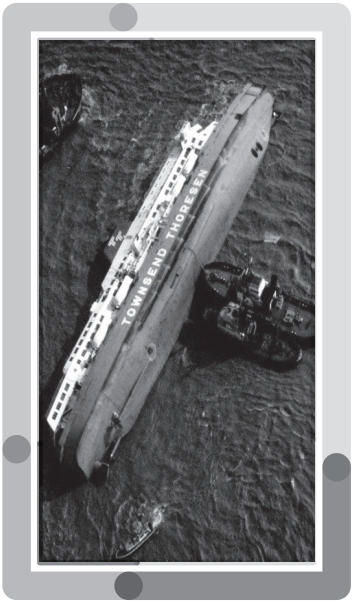

العبّارة هيرالد بعد انقلابها أمام شاطئ بلجيكا

تذاكر مخفّضة للرحيل عن الدنيا!!

كان موسم الإجازات عند كثير من الأوروبيين، وكانت الأسواق والملاهى في حركة رواج لانتقال الزائرين من مكان إلى مكان.. خاصة بعد أن أعلنت شركة (Pxo) للملاحة إجراء تخفيض في ذلك الوقت للمسافرين على خطّها الملاحىTownsend Thoresen بين بلجيكا وإنجلترا.

وفي يوم 6 مارس سنة 1987 احتشد الركاب على رصيف ميناء «زيبروجى» ببلجيكا لركوب العبّارة «هيرالد» [Enterprise Herald fo free] في اتجاههم إلى ميناء «دوفر» بإنجلترا.. وهى مسافة تستغرق حوالى ساعتين ونصف من الزمن. وبعد صعود المسافرين إلى العبّارة، اتجه أغلبهم إلى «الكافتيريا» ليأكلوا ويشربوا بعد ذلك اليوم الحافل بالتجوال والتسوّق في أنحاء بلجيكا. وكان أغلب المسافرين من السائحين الإنجليز مع بعض الجنسيات الأخرى.. إلى جانب مائة جندى إنجليزى كانوا في طريق عودتهم من ألمانيا - في مهمة عسكرية - إلى إنجلترا.

وبمجرد أن انتهت العبارة من الدوران حول المرسى استعدادًا للانطلاق سُمع صوت «هزّة» بجسم العبارة.. وبعد دقيقة واحدة انقلبت العبّارة على جنبها وهى لا تزال على مسافة قريبة من المرسى.. وشاء لله أن يرتكز جسم العبارة المقلوب على كوم كثيف من الرمال.. وإلا لغاص تماما بمن فيه من المسافرين تحت سطح المياه.

صراع داخل باخرة الموت!!

وفي أثناء ذلك كان معظم المسافرين لا يزالون موجودين «بالكافتيريا».. ووجدوا أنفسهم في مأزق مرير.. بعد أن انقلب أعلاهم أسفلهم وأسفلهم أعلاهم.. واندفعت نحوهم مياه البحر المثلجة في تلك الليلة الباردة تحاصرهم من كل باب ونافذة.. وصاروا يتخبطون ببعضهم في الظلام الدامس بعد أن انطفأت أنوار العبّارة.. وكل يحاول جاهدًا أن يشق لنفسه طريقًا ينجيه من الموت غرقًا.. ولكن باءت معظم محاولاتهم بالفشل لعدم اتساع الوقت.. ولم يستمر صراعهم مع الموت إلا فترة قصيرة مات بعدها بعضهم غرقًا، ومات آخرون من اصطدام أجسامهم بالمياه الثلجية.. حتى من استطاع منهم

الفرار إلى سطح العبّارة وألقى بنفسه في المياه لم يكن أسعد حظًا.. فسريعًا ما مات أغلبهم غرقًا وسط المياه الثلجية.

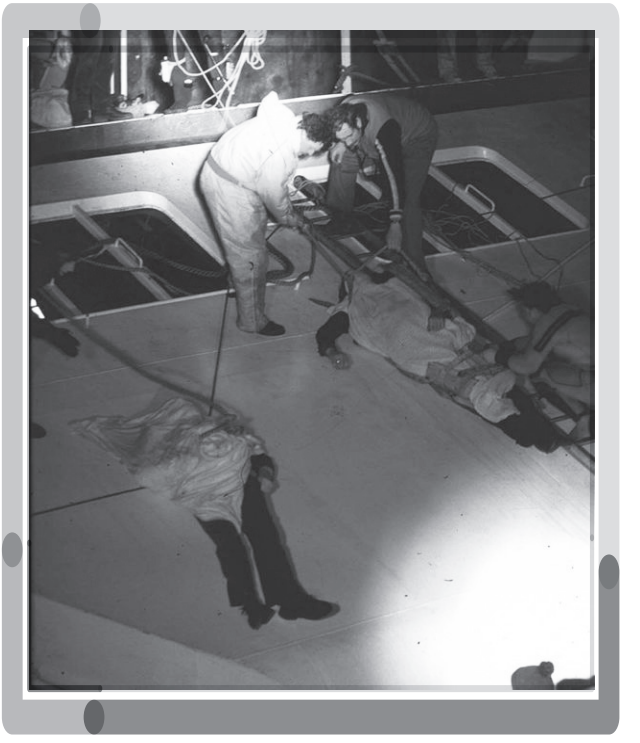

رجال الإغاثة يقومون بنقل ضحايا العبّارة المنكوبة

أما طاقم السفينة فلم يكن لديه أى وقت لإعداد قوارب النجاة، فاكتفى الملاحون بإعداد «سُترات النجاة» وألقوا بها من على سطح العبارة للعائمين وسط المياة بعد أن ألقوا بأنفسهم من العبّارة.

وأثناء ذلك الصراع الرهيب برزت مواقف الشجاعة والتضحية وبرزت أيضا مواقف الجُبن والأنانية.

«رجالة ورق»!!

فيذكر أنه أثناء تسلّق بعض السيدات للنوافذ أملًا في الوصول إلى سطح العبارة بعد أن هاجمتها المياه.. كان بعض الرجال يتشبثون بأذيال «أروابهنّ» لعلهن يصعدن بهم إلى الخارج، فكانت الأرواب تنخلع من على النساء ويتساقطن مرة أخرى إلى حيث كُنّ.

موقف رجولى.. لا يُنسى!

أما الموقف الرجولى الذى لا يمكن أن ينسى من هذا الحادث.. هو ما قام به شاب يُدعى أندرو باركر يبلغ من العمر 33 سنة.. حيث جعل من جَسَدِه «مِعدّية» تصل بين النافذة والقاع الغارق بالمياه.. وراحت ابنته البالغة من العمر 12 سنة وزوجته وبعض المسافرين يخطون فوق جسده واحدًا تلو الآخر حتى تمكنوا من الفرار من خلال النافذة إلى سطح العبارة!!

وجاء إلى مكان الحادث طائرات الهليوكوبتر وقوارب الإغاثة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.. فتمكنوا من التقاط بعض الأشخاص من المياه ومن فوق سطح السفينة البعيد عن سطح المياه.. أما الموجودون بالجزء الآخر من العبارة الغارق في المياه، فلم يستطع أحد من الغواصين الوصول إليهم.. واستمروا على حالهم لمدة أسبوع كامل أو أكثر.. حتى تم انتشال العبّارة!!

أما المهمة الأخرى الصعبة التى واجهت رجال الإنقاذ والمسئولين، فهى تسليم جثث الضحايا لذويهم.. فجميعهم فقدوا ما يدل على شخصيتهم، علاوة على جنسياتهم المختلفة. بالإضافة كذلك إلى أنه لم يكن يوجد قائمة بأسماء المسافرين على العبارة هيرالد!!

ونفس الشىء انطبق على المصابين من ضحايا هذا الحادث، إذ تم إرسالهم لمستشفيات متفرقة.. ولم يتم التعرف على هويّتهم إلا بعد أن أفاقوا من الصدمة وتماثلوا للشفاء من الإصابات التى لحقت بهم.

لذلك لم يتم حصر ضحايا ذلك الحادث على وجه الدقة.. ولكن يقدر عدد الضحايا الذين تم انتشال جثثهم والذين ماتوا في المستشفيات متأثرين بإصابتهم بـ 187 قتيلًا!!

تهمة القتل الخطأ:

وأشار التحقيق إلى الخطأ الجسيم الذى وقع فيه المسئولون عن هذه الرحلة.. فقد فاتهم إغلاق الأبواب بمقدمة السفينة.. فامتلأ قاعها بالمياه واختل اتّزانها وسط المياه، بالإضافة إلى عيب فنّى في هذا الطراز من العبارات يجعلها عُرضة للانقلاب خاصة أثناء عملية الدوران.. وقد سبق أن نبّه الخبراء بضرورة تغيير هذا الطراز إلى نوع آخر أكثر أمانًا، لكنه لم يستمع لهم أحد!!

وفي شهر يونيه سنة 1989، أي بعد مرور سنتين على الحادث، صدر قرار

المحكمة ضد شركة [Q & D] المالكة للعبّارة.. واتهمت فيه الشركة بتهمة القتل الخطأ لسبعة أشخاص.. على سبيل الرأفة.. وألزمتها المحكمة بدفع مبلغ «خيالى» على سبيل التعويض عن ذلك الخطأ الذى لا يمكن أن يُغتفر!!.